ST. ANTONIOUS & ST. MINA
Coptic Orthodox Church
P.O. Box 66, 147 Park Ave.
East Rutherford, NJ 07073

القديس أثناسيوس الرسولي

عظة للقديس غريغوريوس النزينزي يمدح أثناسيوس الكبير

[حينما أمدح أثناسيوس فأنا أمدح الفضيلة ! ،
فالكلام عن أثناسيوس ومديح الفضيلة هما عملان مترادفان ! ،
فأثناسيوس حاز الفضيلة بل اقتناها بل احتواها ،
ولانحزن فالذين عاشوا بوفاق الله مهما ارتحلوا عنا فهم لايزالون يعيشون في الله !
من أجل هذا يُسمى الله إله إبراهيم وإسحق و يعقوب لأنه ليس إله أموات بل إله أحياء .
ومرة أخرى أقول إني عندما أمدح أثناسيوس فأنا أمدح الله ! ، الواهب الفضيلة للبشر] .

[أما كل من استطاع أن يفلت من طوق المادة وحجاب هذا الجسد بواسطة نظرة العقل والتأمل ، و بلغ الشركة مع الله ورافقه قدر ما تحتمل أن تبلغ طبيعة الإنسان ، عن طريق « النور» الفائق الطهر ، فطوبى لذلك الانسان ولسعيد هو ، سواء في ارتقائه من هنا أو في تقبُّله التبني لله هناك ، هذه هي هبات الفلسفة الحقة حينما يسمو الإنسان فوق المادة عن طريق إدراك الوحدة القائمة في الثالوث !

أما كل الذين حُرموا من هذا بارتباطهم باللحم والدم وطغيان التراب عليهم ، حتى أن الواحد لا يستطيع مجرد التطلع نحو أشعة الحق أو يسمو فوق الأرضيات مع أنه مولود من فوق ومدعو أيضاً لميراث العلا ، فيالبؤس هؤلاء من أصابهم العمى حتى ولو كانوا على أعلى شهرة فيما يختص بأمور هذا العالم ، والأدهى من هذا أنهم يدربون أنفسهم على المزيد — من هذا الوهم — باقتناع أن هذا شيء جميل عوض الجمال الحقيقي ، ويحصدون بذلك الفقر من فقر تدبيرهم ، و يُخرجون على أنفسهم حكم البقاء في الظلام وفي النهاية يرونه لهيب نار عوض أن يروه نوراً . هذه هي فلسفة بعض الناس قديماً وحديثاً]

[ومع أن الجميع هم صنعة يديه ، فقليلون هم رجال الله ، الذين بينهم المشترعون والكهنة والأنبياء ، والإنجيليون والرسل ، والرعاة ، والمعلمون ، وكل زمرة الروحيين والذين بينهم جميعاً من جئنا اليوم نمدحه ! ...

مع هؤلاء حُسب أثناسيوس مناظراً ، فإزاء بعضهم يُحسب ممتازاً وتجاه آخرين ــ أقول متجرئاً ــ يُحسب متفوقاً ،

و بعض من هؤلاء أخذهم أثناسيوس نماذج لتفتُّحه الذهني ، وآخرين معياراً لنشاطه والبعض مثالاً لا تضاعه ، وآخرين في الغيرة المتقدة أو لمواجهة المخاطر أو للإرتقاء إلى مستوى الأدب الجم ، جامعاً من هذا وذاك كل أشكال الجمال الخلقي ، وأخذهم جميعاً معاً في نفسه ، فخرج لنا من هذا كله نموذجاً متكاملاً في الفضيلة ، متفوقاً بالفعل على كل أقرانه في الإمتياز الفكري ...

هذا الذي من أجل منفعتنا صار مثالاً لكل الآتين بعده !]

[ولكي نتكلم عن أثناسيوس ونعطيه حقه تماماً من الكرامة سيكون عملاً أكثر مما يحتمله الموقف الآن في حديثي معكم ، لأن هذا يكون عملاً تاريخياً أكثر منه مديحاً كنسياً للذكرى ، ولكنني أشتهي بالفعل أن يكون موضوع اهتمامي مستقبلاً كتابة تاريخ له ، لمسرة ومنفعة الآتين بعدنا ، كما كتب هو تاريخ أنطونيوس ذلك الرجل الإلهي الذي فيه رسم قوانين الرهبنة على مستوى الرواية كقصة .

فأثناسيوس شب منذ حداثته على ممارسة الحياة الدينية وسيرة التقوى ، بعد دراسة مختصرة للآداب والفلسفة ، الأمور التي لا ينبغي أن يكون جاهلاً بها أو غير متمهر فيها ، وهو سينقدها مستقبلاً !!

أما بخصوص نفسه الوثّابة التوّاقة للعلا ، فأبت أن تبقى منحصرة في الأباطيل ، بل ظل يهذ في كافة الأسفار للعهد القديم والعهد الجديد بعمق لم يبلغه أحد نظيره ، **فشب غزير التأمل والتفكير رصين السلوك وجمع هذا بذاك كما برباط ذهني ، قلما استطاع أحد أن يجمع بينها ، مستخدماً السلوك في الحياة كمدخل للتأمل ، والتأمل جعله ختماً على الحياة كلها** ، لأن مخافة الله بدء الحكمة ، أي أن الخوف هو قاط الحكمة الأول ، ولكن متى قطعت الحكمة أقطة الخوف الأولى فإنها تنبثق إلى أعلى في جو المحبة ، فتجعلنا الحكمة أحباءً لله وأبناءً عوض عبيد] .

[وهكذا شب أثناسيوس متمرناً ، كما ينبغي لكل من أراد الآن أن يرأس على شعب و يأخذ لنفسه مهمة قيادة جسد المسيح (الكنيسة) بمقتضى مشيئة الله وعلمه السابق الذي هو قائم في الأساس قبل كل أعمال الله العظمى !!

لقد سكب الله عليه هذه الخدمة الجليلة فجعلته واحداً من القريبين إلى الله ، فاستأهل

الخدمة المقدسة وكرامتها ، وبعد أن أكمل درجات التدبير بكل اخلاص (شماس وكاهن بدرجاتها) **استؤمن على الرئاسة العليا للشعب أو بالحري مسئولية العالم كله !!**

ولست أعلم هل أخذ الكهنوت مكافأة للفضيلة التي حاز عليها ، أو أخذ الكهنوت ليكون نبعاً وحياة للكنيسة ؟

فالكنيسة صارت كإسماعيل على صدر أمه ، فأُغمي على إسماعيل من العطش ، وأما الكنيسة فإلى الحق ! ، أو صارت كإيليا عندما احتاج إلى خرير نهر خابور عندما جفت الأرض من الجدب فارتوى ، لكي تبقى بذرة للصلاح حية في إسرائيل وحتى لا نبقى نحن أيضاً مثل سادوم ونشابه عمورة .

لذلك فنحن حينما انطرحنا أرضاً ، ارتفع أثناسيوس كقرن خلاص لنا وكحجر زاوية أبقى الله عليه ليربطنا معاً وبنفسه ، أظهره الله في حينه الحسن ، أو قل (أثناسيوس) هو النار التي أرسلها الله ليطهّر به الشر الذي بيننا ، أو هو (اثناسيوس) المذراة التي جاء بها الله لينقي أصحاب العقيدة المشتة المزعزعة من أصحاب العقيدة الراسخة الثابتة !!

أو (أثناسيوس) هو السيف الذي قطع جذور الشر من أصولها !!

لذلك وجده المسيح الكلمة طريقاً له ،

والروح القدس وجد فيه من سيتنفس لحسابه !!

وهكذا ولهذا كله بصوت جميع الشعب وليس على طريقة الشر والغش التي ابتدعوها بعدئذ (الهراطقة) ، ولا بسفك الدماء والقهر ، ولكن بأسلوب رسولي روحاني قادوه إلى الكرسي الرسولي الذي للقديس مرقس ليخلفه في التقوى وليس أقل منه في الإدارة والخدمة !!] .

[+ كان أثناسيوس في أعماله متسامياً وفي عقله وتفكيره متواضعاً ،

+ لا يضَارَع في الفضيلة ، ومنفتحاً لكل مقارع ومحاجج ،

+ لطيفاً ، متحرراً من روح الغضب ، مترفقاً ،

+ حلواً في الحديث ، وحلواً أكثر في التدبير ، ملائكي الطلعة ، وملائكياً أكثر في الفعل ،

+ هادئاً عند التعنيف والمراجعة ، مقنعاً في المديح ، هذا وذاك دون أن يكون مُسفاً في المزيد من الكيل ،

+ سواء للذي يعنّفه ، فهو يعنّفه كأب ، أو الذي يمدحه فهو يمدحه كرئيس ذي وقار ، وكان في ترفُّقه غير مأخوذ بعواطفه ، وفي تعنيفه غير مساق بمرارة القسوة . فكان في هذا ذا وقار ، وفي ذاك حكيماً متبصراً بالعواقب !!

وفي الإثنين حقاً على مستوى التعقل !

+ وكان تدبيره كافياً لتمرين أولاده الروحيين بأقل حاجة إلى الكلمات !!